فن تيمور

للسيدة الفاضلة وداد سكاكيني

كان الفن القصصي في نهضة أدبنا الجديد أطيب ما أثمر وأينع في إنتاج الأدباء المحدثين ؛ ولا ريب في أن القاص المصري المشهور محمود تيمور كان سباقاً لمغارس القصة ومجانيها ، ولا يزال في طليعة أدبائها الذين توفروا على إنشائها وممارستها على ضوء القواعد التي أجمع على مراعاتها قادة الأدب وأهل الفن

إن في قصص تيمور دنيا العالم الذي يعيش فيه ، فقد سبر هذا الأديب أغوار الحياة وعايش الصعاليك والشذاذ ، وارتفع إلى قمة الحياة فعرف أهل الترف والترف وما يدور في دنياهم الطافرة من سعادة وشقاء . وإنك لترى في صنعه المتقن مدينة من القصص ، فيها صور المروج شاحبة الهامات متلألئة الثريات ، وفيها تماثيل الأكواخ مفروشة بهلاهل الحصير تترجح في ظلماتها مرج مختنقة الأضواء

ومن يقرأ تيمور في قصصه الحديثة يجدها متنوعة الألوان ، محيطة بعالم الإنسانية التي تحمل مياسم الشرقيين العرب ، فلم تبق إقليمية محلية مقتصرة على طابع واحد ، وإنما أخذ فن مؤلفها ينمو ويتطور ويتجه صوب النفس الإنسانية ، غائصاً على أسرارها مستجلياً خفاياها . وإنك لتراه أيضاً يلقي النور في بعض أقاصيصه على كثير من مشاكل العصر ومعضلات المجتمع ، وكأن آثاره المنوعة عاصمة من عواصم الفن ، شيدها تيمور بك على ضفاف النيل ، لم يسمع بها خوفو ولا حوتها طيبة . وإن من الكتب ما يبقى على وجه الزمان أكثر من المدن المشيدة بالحجارة والحديد . فليكن كلامي على آخر إنتاجه « مكتوب على الجبين » ففي هذا الكتاب اكتمل الفن واستقام الأسلوب

بدأ القاص كتابه بمقال حافل عن فن كتابة القصة أو كيف يعالج القاص كتابة قصة فنية ؛ فبين في فاتحة كلمته أن الموهبة والقواعد أمران لا بد منهما للقصصي كالشاعر بالنسبة وصحة النظم للشاعر . وهنا طفق يفيض في أصول القصة ومميزاتها التي تبصر القصصي وترشده إلى أسرار الإبداع ، ثم عرض لأنواع هذا الفن وأسمائه من ناحية الأسلوب والموضوع ، وما يدلان عليه في أدب الترجمة ، وانتهى إلى بسط العناصر التي إذا جرى عليها القاص برزت قصته ناطقة بالحياة منطبقة على أوضاعها وأطوارها ، فجاءت هذه المقدمة درساً قيماً في فن القصة يجدر أن يلم به كل من أوتي الموهبة التي تعده لمعالجة هذا الفن

* * *

لا تثريب على « الشيخ غيث » فلقد مهدت له أم حسن سبيل الغواية والمعصية ، وكأني أشهده الساعة وهو يداعب بأصابعه لحيته المستديرة ، ويستمع الحوار الذي دار بينه وبين زوجه السليطة اللسان المتشاجرة مع الجيران ؛ حتى إذا سافرت هذه الريف وقف الشيطان بينه وبين خادمته جليلة التي أخذته بنظراتها الغاوية ، فاحتلت منطق تفكيره ، وجعلته يفسر آي القرآن كما شاء هواه ؛ ففي هذه الأقصوصة ترى رجل الدين الذي يتصنع الوقار والتقوى ، ولا يلبث أن يهوى في قرار سحيق من الخطيئات

وإني لأتساءل : ما حال « بسمة اللبنانية » بعد أن هامت على وجهها ، فهي مذ حلت في فندق الشمال من لبنان خفت إليه مواكب الطرب ، ولمعت فيه الأعين بالجذل ، وفاضت الوجوه بالمرح . لكن ذلك الفتى الفنان الذي حل بالفندق على حين غفلة سلب بغنائه لبها وسحر بحبه نفسها ، فأحال خفتها رزانة وضحكها بكاء حتى كان مآلها الاختفاء

هكذا تتعاقب في ذهني صور هذه المجموعة التي اشتملت على أربع عشرة قصة ، فأحدث عنها كأنني رأيت أبطالها وعرفتهم ، لأن المؤلف قد استمد حوادثهم من الواقع الذي هو ملء سمعه وبصره ، وأفاض على تلك الحوادث من تهاويل الخيال دون كلفة ولا ابتذال ، فلم تصطدم بما يخالف العرف والذوق ، ولا ندت عن العادات والشرائع ، وإنما كانت المثال الحق للقصة الحديثة . على أن ما يلفت النظر ويسترعي الإعجاب في هذه المجموعة ظاهرة فيها جديدة لم أكن لأراها فيما سبق من آثار الأستاذ تيمور بك ؛ تلك هي سهال الإنشاء ، وبراعة السبك في الأسلوب ، والطرافة في الأداء والحوار ، وهذا يفسر استماع القاص الموهوب صاحب المجموعة لبعض الناقدين ،